

رمزية القميص في سورة يوسف دراسة تداولية

The Symbolism of the Shirt in Surah Yusuf: A Pragmatic Study

حمزة لكحل

جامعة باتنة 1 (الجزائر)، hamza.lakhal@univ-batna.dz

تاريخ الاستلام: 2025/05/22 تاريخ القبول: 2025/11/01 تاريخ النشر: 2025/11/01

Abstract:

Our article, "The Pragmatics of the Shirt in the Story of Prophet Yusuf" analyzes the symbolic and communicative role of the shirt in Surah Yusuf, employing a pragmatic approach that examines language within its social and cultural context. The shirt emerges as a key communicative tool in three stages:

As proof of Yusuf's innocence when it was torn from behind in the incident with Zulaykha, conveying his self-defense. As a tool of deception when Yusuf's brothers stained his shirt with blood to convince Yaqub of his death, reflecting how objects can transmit misleading messages. As a means of healing when Yusuf's shirt was cast over Yaqub, restoring his eyesight and symbolizing a shift from deceit to mercy.

The analysis demonstrates how the shirt serves as a multidimensional symbol, mirroring narrative progression and character dynamics in the Quranic story.

Keywords: Pragmatics, Surah Yusuf, the Shirt, Intentionality.

المخلص:

يُحلّل مقالنا "تداولية القميص في سورة يوسف" الدور الرمزي والتواصلية للقميص في سورة يوسف، مُعتمداً على المنهج التداولي الذي يدرس اللغة في سياقها الاجتماعي والثقافي. ويبرز القميص كأداة تواصلية رئيسة في ثلاث مراحل: أولاً: كدليل على براءة يوسف عندما تمزّق من الخلف في موقف زليخا، مُنفلاً رسالة دفاعه عن نفسه. ثانياً: كأداة خداع عندما لوّث إخوة يوسف قميصه بالدم لإقناع يعقوب بموت ابنه، مما يعكس استخدام الأشياء لنقل رسائل مضلّة. وأخيراً: كوسيلة للشفاء عندما ألقي قميص يوسف على يعقوب فرجّع إليه بصره، مما يرمز إلى التحول من الخداع إلى الرحمة. يُظهر التحليل كيف يُستخدم القميص كوسيلة تواصلية تعكس تطوّر الأحداث والعلاقات بين الشخصيات، مؤكّداً على دوره كرمز متعدّد الأبعاد في السرد القرآني.

الكلمات المفتاحية: التداولية، سورة يوسف، القميص، القصدية.

1. مقدمة:

يُعدُّ تحليل النصوص الدينية من منظور تداولي مدخلاً منهجياً غنياً يُسهم في كشف الأبعاد التفاعلية والسياقية التي تُحيط بالنص القرآني، مما يُعزِّز فهمًا أعمق لرسالته ودلالاته. فالتداولية، بتركيزها على اللغة في سياقها الاستعمالي، تتيح للباحث اكتشاف كيفية استخدام النص القرآني لأدوات التواصل لتحقيق أغراض محددة، سواء أكانت إقناعية أم تعبيرية أم إخبارية. من خلال تحليل أفعال الكلام والسياقات التي تُوظَّف فيها العبارات والرموز، يمكن الكشف عن القصدية الكامنة وراء الخطاب القرآني، وفهم التفاعلات الاجتماعية والنفسية التي يُحدثها النص في مخاطبيه. على سبيل المثال، في قصة يوسف، يُمكن لتحليل الصور الرمزية مثل القميص من منظور تداولي أن يكشف عن كيفية استخدام هذه الصور كأدوات تواصلية لنقل الرسائل الأخلاقية والدينية، وإدارة العلاقات بين الشخصيات، وتوجيه القارئ نحو استنتاجات أعمق حول العدل الإلهي والحكمة الإنسانية. وبذلك، يُقدِّم المنهج التداولي رؤيةً شاملةً تُبرز تفاعل النص مع سياقه التاريخي والاجتماعي، مما يُثري عملية التأويل ويُعمِّق فهمنا للنص القرآني بوصفه خطاباً حيويًا يتجاوز حدود الزمان والمكان.

- أهمية الموضوع:

تكتسب دراسة صورة القميص في سورة يوسف أهمية خاصة عند تحليلها من منظور تداولي، حيث تُعدُّ هذه الصورة عنصرًا مركزيًا يحمل دلالات متعددة تتغير بتغير السياقات التي تظهر فيها. فالقميص ليس مجرد قطعة ملابس، بل هو أداة تواصلية فعالة تُستخدم في تحقيق أغراض كلامية مختلفة، مثل إثبات البراءة أو الإدانة، أو نقل الرسائل العاطفية، أو كشف الحقائق المخفية. في كل موقف من مواقف القصة، يلعب القميص دورًا محوريًا في توجيه الأحداث وتفاعلات الشخصيات، مما يجعله نموذجًا مثاليًا لدراسة كيفية توظيف الرموز في الخطاب القرآني لإيصال المعاني العميقة. من خلال تحليل القميص تداوليًا، يمكن فهم كيفية تفاعل النص مع سياقه الاجتماعي والنفسي، وكيفية استخدامه كوسيلة لإدارة الحوارات وإبراز القيم الأخلاقية والدينية. هذا التحليل لا يُظهر فقط براعة النص القرآني في توظيف الرموز، بل يُسهم أيضًا في إثراء فهمنا للتفاعلات الإنسانية المعقدة التي تعكسها القصة، مما يجعل دراسة القميص من هذا المنظور ذات قيمة تحليلية عالية.

- الإشكالية: كيف يمكن تحليل المعنى التداولي لصورة القميص في سورة يوسف، وفهم دوره في التفاعلات الاجتماعية والسياقية؟

2. التداولية وأدواتها التحليلية:

1- التداولية كفرع من فروع اللسانيات:

التداولية (Pragmatics) هي فرع من فروع اللسانيات يهتم بدراسة اللغة في سياقها الاستعمالي، أي كيف تُستخدم اللغة في التواصل الفعلي بين الأفراد، على عكس علم الدلالة الذي يركز على المعنى المجرد للكلمات والجمل، تهتم التداولية بالمعنى في السياق، بما في ذلك نوايا المتكلمين، والسياق الاجتماعي، والظروف المحيطة بالتواصل. وفقًا لجيفري ليتش في كتابه "علم اللغة التداولي" (Pragmatics)، فإن التداولية تدرس "كيف يُنقل المعنى في السياق الحقيقي للتواصل" (ليتش، 2013، صفحة 05).

2- أدوات التحليل التداولي:

أ. فعل الكلام (Speech Acts): فعل الكلام هو نظرية قدمها الفيلسوف جون أوستن في كتابه "كيف ننجز الأشياء بالكلمات" (How to Do Thing swith Words)، وفقًا لأوستن، فإن اللغة ليست مجرد أداة للتعبير عن الأفكار، بل هي أداة لإنجاز أفعال، مثل الوعد، أو الأمر، أو الاعتذار. على سبيل المثال، عندما يقول شخص "أعدك بأنني سأفعل ذلك"، فإنه لا يعبر عن فكرة فحسب، بل ينفذ فعلًا كلاميًا هو الوعد، وفقًا لأوستن، يمكن تقسيم أفعال الكلام إلى ثلاثة أنواع رئيسية: (أوستن، 1991، صفحة 12)

- الفعل التلفظي: (Locutionary Act) وهو مجرد نطق الكلمات بمعناها الحرفي.
- الفعل الإنجازي: (Illocutionary Act) وهو الفعل الذي يتم إنجازه من خلال الكلام، مثل الوعد أو الأمر.
- الفعل التأثيري: (Perlocutionary Act) وهو التأثير الذي يحدث على المستمع نتيجة الكلام، مثل الإقناع أو الإخافة.

والفعل الكلامي عند جون سيرل (John Searle) هو تطوير وتوسيع لنظرية أفعال الكلام التي قدمها جون أوستن (J.L. Austin). يرى سيرل أن اللغة ليست مجرد أداة لنقل المعلومات، بل هي وسيلة لإنجاز أفعال معينة في سياقات اجتماعية محددة، ووفقًا لسيرل، فإن كل فعل كلامي يتكون من ثلاثة أبعاد: البعد اللفظي (Locutionary Act)، والبعد

الإنجازي (Illocutionary Act) ، والبعد التأثري (Perlocutionary Act) البعد الإنجازي هو الأكثر أهمية في تحليل سيرل، حيث يركز على القوة الإنجازية للكلام، مثل الطلب أو الوعد أو الأمر. صنف سيرل أفعال الكلام إلى خمس فئات رئيسية: التصريحية (Assertives)، التوجيه (Directives)، التعهدية (Commissives)، التعبيرية (Expressives)، والإعلانية (Declarations) تُستخدم هذه الفئات لتحليل كيفية استخدام اللغة لإحداث تغييرات في العالم الاجتماعي (R.Searle, 1988, p. 53).

ب. السياق (Context): السياق هو العنصر الأساسي في التحليل التداولي، حيث إنه يحدد المعنى الحقيقي للكلمات والجمل. وفقاً للفينسون في كتابه "التداولية" (Pragmatics)، فإن السياق يشمل العوامل الزمانية والمكانية، والعلاقات الاجتماعية بين المتحدثين، والمعرفة المشتركة بينهم. على سبيل المثال، كلمة "بارد" يمكن أن تعني درجة الحرارة المنخفضة في سياق الطقس، أو تعني عدم الاهتمام في سياق عاطفي (Levinson, 1983, p. 05).

والسياق هو العنصر الأساسي في التحليل التداولي، حيث إن المعنى لا يُفهم إلا في ضوء السياق الذي يُقال فيه الكلام، وهو أنواع:

- السياق اللغوي (Linguistic Context) : يقصدُ به المحيطُ اللغويّ السابق واللاحق للقولة.

- السياق الاجتماعي (Social Context) : وهو العلاقة بين المتخاطبين في إطار المنظومة الاجتماعية.

- السياق الثقافي (Cultural Context) وهو المعرفة الثقافية المشتركة.

ج. القصدية (Intentionality): القصدية تشير إلى نوايا المتكلمين وكيف تؤثر هذه النوايا على تفسير النص. وفقاً لسيرل في كتابه "فعل الكلام" (Speech Acts)، فإن فهم القصدية ضروري لفك شفرة المعنى الحقيقي وراء الكلمات. على سبيل المثال، عندما يقول شخص "هل يمكنك إغلاق النافذة؟"، فإن القصد الحقيقي قد يكون طلباً وليس استفهاماً (R.Searle, 1988، صفحة 45).

والرمزية في القرآن الكريم تُعد أسلوباً بلاغياً عميقاً يُستخدم لنقل معاني ودلالات تتجاوز المعنى الحرفي للنص. تُستخدم الرموز في القرآن لتوصيل رسائل روحية وأخلاقية

واجتماعية بشكل مؤثر ومُعبر. على سبيل المثال، في قصة يوسف، يعكس القميص رمزية متعددة الأبعاد، من البراءة إلى الخداع ثم الشفاء، مما يجعلها أداة تواصلية قوية تعكس تطور الأحداث والعلاقات بين الشخصيات. وفقًا لد. عبد الكريم الخطيب في كتابه "الرمزية في القصص القرآني"، فإن الرموز في القرآن تُستخدم لنقل رسائل عميقة في سياقات محددة. الرمزية أيضًا تُظهر قدرة القرآن على التعبير عن المفاهيم المعقدة بشكل بسيط ومؤثر، مما يجعلها أداة فعالة في التأثير على المتلقي وإيصال الرسائل الدينية والأخلاقية. (الخطيب، 1998، صفحة 112)

د- الاستلزام الحوارِيّ (Conversational Implicature): هو مفهوم مركزي في النظرية التداولية قدمه الفيلسوف ه.ب. غرايس (H.P. Grice) في محاضراته الشهيرة عام 1967، وهو المعنى الضمني الذي يُفهم من الكلام دون أن يُقال صراحةً، وذلك بناءً على مبادئ التعاون (Cooperative Principle) التي تحكم الحوار، وتتضمن هذه المبادئ أربع قواعد:

- الكمية (Quantity) التي تتطلب تقديم المعلومات الكافية دون إفراط.
- الجودة (Quality) التي تشترط قول الحقيقة.
- العلاقة (Relation) التي تؤكد على أهمية الربط بين الكلام والسياق.
- الأسلوب (Manner) الذي يدعو إلى الوضوح وتجنب الغموض.

وعندما يخالف المتكلم هذه المبادئ بشكل واضح، فإنه يخلق استلزامًا حواريًا يتطلب من المستمع تفسير المعنى المقصود، مثل يقول شخصٌ ما "الجو بارد"، فقد يكون الاستلزام الحوارِيّ لأنه يطلب إغلاق النافذة. (Grice, H. P, 1975)

3- أهمية التداولية في تحليل النصوص الدينية:

التداولية تلعب دورًا حاسمًا في تحليل النصوص الدينية، حيث إن هذه النصوص غالبًا ما تكون غنية بالسياقات التاريخية والثقافية التي تؤثر على تفسيرها. وفقًا لد. نصر حامد أبو زيد في كتابه "مناهج تحليل النصوص الدينية"، فإن التداولية تساعد في فهم كيف تُستخدم اللغة في النصوص الدينية لنقل رسائل محددة في سياقات اجتماعية ودينية معينة. على سبيل المثال، في سورة يوسف، يمكن تحليل استخدام القميص كأداة تواصلية في

سياقات مختلفة (البراءة، الخداع، الشفاء) لفهم كيف تُستخدم الأشياء المادية لنقل رسائل متعددة (أبو زيد، 2005، صفحة 89).

والنصوص الدينية غالباً ما تكون غنية بالرموز والدلالات التي تحتاج إلى تحليل تداولي لفهمها. وفقاً لدكتور عبد الكريم الخطيب في كتابه "الرمزية في القصص القرآني"، فإن التداولية تساعد في تفسير كيف تُستخدم الرموز في النصوص الدينية لنقل رسائل عميقة. على سبيل المثال، في سورة يوسف، يمكن تحليل رمزية القميص كأداة تواصلية تعكس تطور الأحداث والعلاقات بين الشخصيات (الخطيب، 1998، صفحة 112)

4- كيف يمكن للتداولية أن تكشف عن الأبعاد الثقافية والسياقية في القصص

القرآني؟

تعدّ التداولية أداة قوية لفهم القصص القرآنية من خلال تحليل كيفية استخدام اللغة في سياقاتها الثقافية والاجتماعية. وفقاً لد. طه جابر العلواني في كتابه "القصص القرآني: رؤية جديدة"، فإن التداولية تساعد في كشف الطبقات العميقة من المعاني التي قد لا تكون واضحة في القراءة الأولى للنص، على سبيل المثال، في قصة آدم وإبليس، يمكن تحليل الحوار بينهما لفهم كيف استخدم إبليس اللغة للتضليل والإغواء، بينما استخدم آدم اللغة للتوبة والاستغفار. بالإضافة إلى ذلك، التداولية تكشف عن كيفية تأثير السياق الثقافي والديني على تفسير النصوص، كما يوضح د. فاضل السامرائي في كتابه "اللغة والدلالة"، حيث إن فهم السياق يساعد في تفسير النصوص بشكل أكثر دقة. هذه الأدوات التحليلية تجعل التداولية منهجاً أساسياً لفهم القصص القرآنية بشكل شامل وعميق (العلواني، 2001، صفحة 67).

3. المعنى التداولي لصورة القميص:

سيتمّ التطرّق في هذا العنصر لصور القميص المتعدّدة، بناءً على المواقف المختلفة التي تعرّض لها سيدنا يوسف عليه السلام في سياق، وفقاً للتقسيم الآتي:

1- الموقف الأول: "قميص يوسف وامرأة العزيز"

1/السياق: في هذا الموقف، تُتهم امرأة العزيز يوسف بمحاولة الاعتداء عليها بعد أن راودته عن نفسه فاستعصم. تستخدم القميص الممزق كدليل مادي لتأكيد ادعائها الكاذب أمام زوجها والحاضرين (الطبري، 2007، صفحة 125).

2/ **فعل الكلام:** القميص هنا يُستخدم كأداة تواصلية لإنجاز فعل كلامي يتمثل في الإدانة الظاهرية ليوسف والحقيقة أن سيدنا يوسف برئ من التهمة وأن امرأة العزيز أدركته فتعلقت بقميصه ، فجذبتة إليها مانعةً له من الخروج من الباب ، فقدته من دبر ، يعني: شفته من خلف لا من قدام، لأن يوسف كان هو الهارب، وكانت هي الطالبة. تقول امرأة العزيز: ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يوسف: 25]. ومع ذلك، يكشف الشاهد من أهلها أن تمزيق القميص من الخلف يدل على براءة يوسف: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِّنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿ (يوسف: 26-27).

3/ القصدية:

- نية امرأة العزيز: إخفاء الحقيقة وتشويه صورة يوسف لئلا تترتب نفسها من الفعلة التي اقترفتها.

- نية يوسف: إظهار براءته والحفاظ على طهارته الأخلاقية. (الطبري، 2007، صفحة 125)

المعنى التداولي: يُظهر هذا الموقف كيف يُستخدم القميص كأداة تداولية لإثبات الحقيقة أو تشويهها، حيث يعكس الصراع بين القوة والضعف، والحقيقة والزيف. والقميص هنا ليس مجرد دليل مادي، بل هو أداة تفاعلية تكشف عن نوايا الشخصيات وديناميكيات القوة بينهم.

2-الموقف الثاني: "قميص يوسف وإخوته"

1/ **السياق:** التخلّص من يوسف وإخفاء جريمة الإخوة، ففي هذا الموقف، يُلقي إخوة يوسف به في الحب كجزء من مؤامرتهم للتخلّص منه بسبب غيرتهم من حبّ أبيهم يعقوب له، وبعد إلقاءه في الحبّ، يستخدم الإخوة قميصه الملوّث بدم كذبٍ دليلاً على وفاته المزعومة، وذلك لإقناع أبيهم يعقوب بأن الذئب افترسه (ابن كثير، 1999، صفحة 36). ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذَّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾. يوسف

2/ فعل الكلام: القميص دليلاً على "وفاة" يوسف المزعومة، استخدام القميص في هذا الموضوع كأداة تواصلية لإنجاز فعل كلامي يتمثل في إقناع يعقوب ب وفاة يوسف عليه السلام، حيث قدم الإخوة القميص الملوّث بدم كذب كدليل مادي على روايتهم الكاذبة، وكانوا سيكون، وذلك في الموضوع: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ (يوسف: 18)، والعشاء وقت غيبوبة الشفق الباقي من بقايا أشعة الشمس، وبدء حلول الظلام، والمراد بالبكاء إما البكاء المصطنع لخداع أبيهم، أنهم لم يقصروا في حق أخيه، أي: وجاءوا أباهم بعد أن أقبل الليل بظلامه يتباكرون، متظاهرين بالحزن والأسى لما حدث لأخيه يوسف، وفي الأمثال يورد قول مأثور: "دموع الفاجر ببديه" (الطنطاوي، صفحة 45).

3/ القصيدة:

- نية الإخوة في خداع أبيهم يعقوب: كان قصد الإخوة من استخدام القميص الملوّث بدم كذب خداع أبيهم يعقوب وإخفاء جريمتهم في التخلص من يوسف، ومن ثمّ راحوا يحاولون إقناعه بأنّ الذنب قد افترسه، مستخدمين القميص كدليل مادي لتأكيد قولهم الكاذب. (ابن كثير، 1999، صفحة 36)

- رد فعل يعقوب: يعقوب عليه يشك في رواية الإخوة ولا يصدقهم (الزمخشري ، 2007، صفحة 335)، حيث يقول: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف: 18).

المعنى التداولي: يُظهر هذا الموقف كيفية استخدام القميص كأداة تداولية لإخفاء الحقيقة وتضليل الآخرين، والقميص هنا ليس مجرد دليل مادي، بل هو أداة تفاعلية تكشف عن نوايا الإخوة الشريرة ومحاولتهم التلاعب بأبيهم يعقوب.

3- الموقف الثالث: "قميص يوسف ويعقوب"

1/ السياق: إرسال القميص كدليل على بقاء يوسف حياً، ففي هذا الموقف، يرسل يوسف قميصه إلى أبيه يعقوب بعد أن أصبح له مكانة عالية في مصر، ويأتي هذا فعل الإرسال بعد أن طلب يوسف من إخوته أن يأتوا بأبيهم وأهلهم إلى مصر، وقد أرسله كدليل مادي على بقاءه حياً، وكإشارة إلى تحقق رؤياه القديمة التي رآها في صغره: ﴿ادْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَلَئِمَهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بِصَبْرًا وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تَفَنُّونَ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ

النَّبِيرُ أَقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَأَرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٠٠﴾ (ابن كثير، 1999، الصفحات 450-455)

2/فعل الكلام: القميص كرسالة تفاؤل وأمل، استخدم القميص هنا كأداة تواصلية لإنجاز الفعل الكلامي المتمثل في إيصال رسالة تفاؤل وأمل إلى يعقوب، حيث طلب يوسف من إخوته أن يأخذوا قميصه ويلقوه على وجه أبيه، في قوله: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ (يوسف: 93)، هذا الفعل الكلامي يحمل دلالة قوية على الشفاء والفرج، حيث يعود بصر يعقوب بعد أن يشم رائحة القميص (الزمخشري، 2007، صفحة 320).

3/القصدية:

- نية يوسف في تطمين أبيه وإعادته إلى حالة من الرضا: لقد كان قصد يوسف من إرسال القميص تطمين أبيه يعقوب وإعادته إلى حالة من الرضا وبعث الأمل فيه بعد سنوات طويلة من الحزن والفرق، والقميص هنا ليس مجرد دليل مادي على بقاء يوسف حيًا فحسب، بل هو أداة لتحقيق الشفاء النفسي والعاطفي لأبيه. (ابن كثير، 1999، الصفحات 450-455).

- رد فعل يعقوب: استجاب يعقوب لرائحة القميص وعاد إليه بصره، مما يعكس القوة الرمزية التداولية للقميص في تحقيق الشفاء النفسي والجسدي، يقول يعقوب: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُون﴾ (يوسف: 94).

المعنى التداولي: يُظهر هذا الموقف كيف يُستخدم القميص كأداة تداولية قوية لنقل الرسائل العاطفية والنفسية. والقميص هنا ليس مجرد دليل مادي، بل هو أداة تفاعلية تكشف عن نوايا يوسف في إعادة الأمل والشفاء إلى أبيه يعقوب.

4. الأبعاد التفاعلية لصورة القميص:

1-القميص وسيلة اتصال:

في قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم، يُستخدم القميص كأداة تواصلية فعالة بين الشخصيات، حيث يعكس ديناميكيات التفاعل السياقي ويُبرز أفعالاً كلامية متعددة. وفقاً للنظرية التداولية، التي تركز على استخدام اللغة في سياقها العملي لتحقيق أغراض تواصلية محددة، يمكن تحليل القميص كعلامة تداولية تحمل دلالات مختلفة حسب السياق.

في موقف امرأة العزيز، يُستخدم القميص كدليل مادي لإنجاز فعل كلامي يتمثل في الإدانة الظاهرية ليوسف، حيث تُقدّمه امرأة العزيز كبرهان على ادعائها الكاذب، ومع ذلك، يكشف السياق اللاحق عن قصدية يوسف في إظهار براءته، مما يُظهر الصراع بين القصدية الكامنة وراء الخطاب والحقيقة الموضوعية.

وفي موقف إخوة يوسف، يُستخدم القميص الملوّث بدم كاذب كأداة لإقناع يعقوب بوفاة يوسف، حيث يُنجز فعلاً كلامياً يتمثل في التضليل والخداع، وهنا، يتجلى دور السياق في تشكيل المعنى، حيث يُقدّم الإخوة القميص كدليل مادي لتأكيد روايتهم الكاذبة.

أما في موقف يوسف ويعقوب، فيُستخدم القميص كرسالة تفاؤل وأمل، حيث يُنجز فعلاً كلامياً يتمثل في تطمين يعقوب وإعادته إلى حالة من الرضا، يعكس هذا الاستخدام قصدية يوسف في إيصال رسالة إيجابية تُعيد بناء العلاقة الأسرية.

بهذا، يُظهر القميص في القصة كيف يمكن للأدوات المادية أن تكون وسائل تواصلية فعّالة تُستخدم لإنجاز أفعال كلامية متعددة، تعكس القصدية السياقية للشخصيات وتُبرز التفاعلات الاجتماعية والنفسية بينهم.

2- القميص كأداة لإثبات الحقائق:

في قصة يوسف عليه السلام، لعب القميص دوراً محورياً في كشف الحقائق وإظهار البراءة أو الإدانة، حيث استُخدم كدليل مادي في سياقات مختلفة لتأكيد أو نفي ادعاءات الشخصيات، ويمكن توضيح ذلك من خلال المواقف التالية:

أ- في موقف امرأة العزيز: "القميص كدليل على براءة يوسف" (الطبري، 2007، الصفحات 200-205)

1/السياق: بعد أن راودت امرأة العزيز يوسف عن نفسه فاستعصم، أمسكت بقميصه من دبر فمزقته، ثم استخدمته كدليل مادي لتأكيد ادعائها الكاذب بأنه حاول الاعتداء عليها.

2/فعل الكلام: القميص هنا استخدم كأداة لإثبات الإدانة الظاهرية ليوسف، حيث تقول: ﴿مَا جَرَأُ مَنْ أَرَادَ بِالْهَلِكِ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (يوسف: 25).

3/كشف الحقيقة: عندما فحص القميص، اتضح أن تمزيقه لو كان من الخلف فإنه دليل على براءة يوسف، ولو كان ممزقاً من الأمام فإنه دليل على صحة ادعاء امرأة العزيز،

يقول الشاهد: ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (يوسف: 26-27).

ب- في موقف إخوة يوسف: "القميص كدليل على وفاة" يوسف المزعومة (ابن كثير، 1999، الصفحات 400-405)

1/السياق: بعد أن ألقى إخوة يوسف به في الجب، استخدموا قميصه الملوث بدم كذب كدليل على وفاته المزعومة، حيث أخبروا أباهم يعقوب أن الذئب افترسه.

2/فعل الكلام: القميص هنا استخدم كأداة لإقناع يعقوب بوفاة يوسف، حيث قالوا: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ (يوسف: 18).

3/رد فعل يعقوب: يعقوب يشك في رواية أبنائه ولا يصدقهم، حيث يقول: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف: 18).

ج-في موقف يوسف ويعقوب: "القميص كدليل على بقاء يوسف حيًا" (الزمخشري، 2007، الصفحات 320-325)

1/السياق: بعد أن أصبح يوسف عزيزًا لمصر، أرسل قميصه إلى أبيه يعقوب كدليل على بقاءه حيًا، حيث طلب من إخوته أن يأخذوا القميص ويلقوه على وجه أبيه.

2/ فعل الكلام: القميص هنا يُستخدم كرسالة تفاؤل وأمل، حيث يقول يوسف: ﴿ادْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ (يوسف: 93).

3/ رد فعل يعقوب: يعقوب يستجيب لرائحة القميص ويعود إليه بصره، مما يعكس قوة الرمزية التداولية للقميص في تحقيق الشفاء النفسي والجسدي.

النتيجة العامة: القميص في قصة يوسف ليس مجرد قطعة ملابس، بل هو أداة تواصلية قوية تُستخدم لنقل الرسائل والدلالات بين الشخصيات. ويعكس القميص التفاعلات الاجتماعية والنفسية بين الشخصيات، ويكشف عن نواياهم وديناميكيات القوة بينهم.

5. الخاتمة:

تعددت استعمالات القميص في سورة يوسف، اكتسب فيها مع كل سياق وظيفة تداولية مغايرة، جعلت منه عنصراً مركزياً في تكوينية الخطاب القصصي القرآني، وفيما يلي تمثيلاته وقيمته التداولية:

- القميص علامة لإثبات براءة يوسف: في موقف زليخة، أصبح القميص دليلاً على براءة يوسف، حيث نقل رسالة واضحة عن دفاعه عن نفسه، مما يعكس قيمة العدل والحق.

- القميص أداة للخداع: استخدم إخوة يوسف القميص كوسيلة خداع لإقناع يعقوب بوفاة ابنه، مما يعكس كيفية استخدام الأدوات المادية لنقل رسائل كاذبة والتلاعب العاطفي.

- القميص رمزاً للشفاء والرحمة: في نهاية القصة، تحول القميص إلى وسيلة للشفاء عندما أُلقي على يعقوب، مما يعكس قيمة الرحمة والبركة، ويظهر تحولاً في دلالاته من الخداع إلى العطاء.

- القميص رمزاً للصبر واليقين بالله: يعقوب عليه السلام، على الرغم من حزنه، ظل صابراً واثقاً برحمة الله، مما يعكس قيمة الصبر والثقة في العدل الإلهي.

- القيم الإنسانية والدينية: القميص يعكس قيماً إنسانية ودينية عميقة مثل العدل، الصدق، الرحمة، الصبر، والثقة بالله، مما يجعله رمزاً متعدد الأبعاد في السرد القرآني.

- التداولية تساعد في فهم كيفية استخدام اللغة والأدوات المادية في النصوص الدينية لنقل رسائل عميقة في سياقات اجتماعية وثقافية محددة.

6. قائمة المراجع:

- أبو زيد، ن. (2005). *مناهج تحليل النصوص الدينية*. لبنان: المركز الثقافي العربي.
- الخطيب، ع. (1998). *الرمزية في القصص القرآني*. دار الفكر العربي.
- الطنطاوي، م. (s.d.). *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*، ج.2 دار السعادة.
- Grice, H. P. (1975). *Logic and Conversation* . (I. P. Morgan, Éd.) •
Syntax and Semantics, 3, 41-58.
- levinson, S. (1983). *pragmatics*. Cambridge: text books in linguistics.
- R.Searle, J. (1988). *les actes de langage* . (d. s. tirage, Éd., & H. p. •
Hermann, Trad.)
- ابن كثير، إ. (1999). *تفسير القرآن العظيم*، ج.4 دار طيبة للنشر والتوزيع.
- الزمخشري، م. (2007). *الكشاف عن حقائق التنزيل*، ج.2 دار الكتب العلمية.
- الطبري، أ. (2007). *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، ج.13 دار هجر للطباعة والنشر.
- العلواني، ط. ج. (2001). *القصص القرآني: رؤية جديّة*. دار الهادي.
- أوستين، ج. (1991). *نظرية أفعال الكلام*، (كيف نجز الأشياء بالكلام). ع. قنيني (Trad.),
المغرب: إفريقيا الشرق.
- ليتش، ج. (2013). *مبادئ التداولية* (Principles of Pragmatics). ع. قنيني (Trad.),
المغرب: دار الكتب أفريقيا الشرق.